# الشيخ عبدالواحد يحي وتصّوفه

**إعداد**

**مريم على إمحمد التريكى**

**طالبة دكتوراه**

**إشراف**

**أ . د/ كوكب عامر**

**أستاذ تصوّف**

**بكلية البنات – جامعة عين شمس**

**د/ سهام عبد المجيد**

**مدرّس تصوف**

**بكلية البنات – جامعة عين شمس**

**ملخص :**

في أوروبا تُروى قصص كثيرة حول كيفية انجذاب بعض المفكرين الأوروبيين الكبار للتصوف الإسلامي والدخول عبر أبوابه الواسعة الى رحاب الإسلام ، ويمكن الإشارة هنا الى "رينيه جينو" الذي وجد في الشرق الإسلامي نموذجاً عالياً من نماذج الحكمة .
وتعميماً للفائدة ، وإحياء لذكرى " رينيه جينو " الذى تسمّى باسم " عبد الواحد يحيى " قدّمنا في هذا البحث نبذة عن حياة هذا العالم الذي يُعد من أعلام الفكر الإنساني والإسلامي ، كما أوردنا قائمة لمؤلفاته بالاعتماد على أول من لفت اليه الأنظار " الدكتور عبد الحليم محمود " شيخ الأزهر السابق رحمه الله في كتاب " المدرسة الشاذلية ".
لقد تُرجمت أعمال الشيخ عبد الواحد يحيى الى كل اللغات الأجنبية الأساسية ، وانه لمن المؤسف حقا أن تفتقد المكتبة العربية هذا التراث الفكري الهام ، ولعل هذا البحث يمثل خطوة نحو تعريف القارئ العربي على هذا الفرنسي الذي أعلن للعالم أجمع في زمن الهيمنة الحضارية الحديثة أن الشرق هو النموذج والمثال والملجأ للإنسانية .
وفي نهاية هذا البحث نستطيع القول إن شخصية الشيخ عبد الواحد يحيى قد لفتت الانتباه بآثارها العميقة والواضحة في الحياة الروحية للغرب عموماً وفرنسا على وجه الخصوص ولابد من الإشارة الى أن هذه الدراسة لا تحيط بكل تلك الشمولية والرؤية الدقيقة التي قدَّمها الشيخ عبد الواحد يحيى ، ونرجو من الله عزّ وجل أن نكون قد قدّمنا له بطريقة لائقة لا تنتقص من قدره ومكانته .

**تمهيد :**

إن الأزمة بين الشرق والغرب منذ القدم تتلخّص في عدم التلاقي في المسألة الروحانية حيث كانت نقطة الخلاف الفكرية ترجع لأصول دينية أو روحانية، ونقصد هنا العصور الوثنية ولكن أيضاً في العصور التي دان فيها الطرفان بالديانات السماوية المقدسة كان الصراع أيضاً موجوداً بالرغم من أن الأصل الروحاني واحد لكن المذهبية في الديانات السماوية القديمة " اليهودية والمسيحية " أدت إلى هذا الشقاق الذي يوصف بأنه صراع حضاري مذهبي عرقي .
وبالتالي فإن المسألة الروحانية بين الشرق والغرب قد تشكل أكثر من 70% من آليات الصراع حتى ولو وُصف هذا الصراع في بعض مراحله بأنه علماني بحت فإنه في مراحله النهاية روحاني وعقائدي،وإذا نظرنا إلى هذا الصراع على مرّ العصور وجدنا أن مثقفي ومتعلمي الغرب الباحثين عن الحقيقة غالباً ما يتحولون إلى الإستشراق إما بغرض الدراسة والتحليلأو بغرض التقريب بين وجهات النظر وفي أغلب الأحوال يتحول الإستشراق إلى افتتانواعتناق، وهذا ما نتحدث عنه بالتحديد من خلال الحديث عن أحد أقطاب هذا المنهج وهو الشيخ الكبير والعارف بالله " الشيخ عبد الواحد يحي " الفرنسي الأصل والمولْد وكان اسمه قبل الإسلام "رينيهجينو" لكن قبل أن نتكلّم عنه كأحد أقطاب الإستشراق والتصوف الإسلامي يجب أن نوضح بعض النقاط المهمة التي ستساعدنا على فهم الميل الشديد عند مثقفي المجتمع الغربي لدراسة روحانيات الشرق وهي:
ــ إن التباين الشديد بين الروحانيات في الشرق والغرب ونعني هنا المسألة الدينية في الشرق منذ عصر الوثنية كان لها طابع خاص جدا حيث قامت الأديان في الشرق على الكهنوت والسرية فلم يكن من السهل أن يعرف الغرباء شيئاً عن طبيعة الديانة من الناحية الطقسية أو الفلسفية لأنها كما قلنا كانت تخضع لدرجة عالية من السرية وكان ذلك دأب كل العقائد الشرقية في مصر أو في الشرق الأدنى والهند، أما على الجانب الغربي لم تكن الديانة تشكل قضية عقائدية بل كانت مجرد مظهر من مظاهر الحضارة أو على الأقل رؤية خاصة جداً للطبيعة وهكذا كانت العقائد الشرقية محط جذب كبير بالنسبة للغرب والذين كانوا يشعرون بالجذب الروحي نحو سرية وصفاء العقائد الشرقية[١].
ثم بعد نزول الديانات السماوية استمر الشرق يحتفظ بنفس الصفة الروحانية العالية وبالتالي ظل الشرق محط أنظار النابهين من أبناء المجتمعات الغربية الباحثين عن الحقيقة وإذا قلناإن "رينيهجينو" كان من أهم أبناء الغرب الباحثين عن الحقيقة فإن تاريخ الغرب سوف يقف طويلا أمام شخصية بهذا الثقل
الفلسفي والديني والفكري لأن "رينيهجينو" لم يدخل الإسلام باحثاً عن السلام الروحي واللقاء الرباني فحسب بل انه دافع عن الشرق والشرقيين بكل ما أوتي من قوة وقدم نقداً عادلاً للمجتمع الغربي بحيث
أبطل بنقده المزاعم التي زعمها أصحاب النظريات في الغرب بأن الغرب هو أصل الحضارة وإنهم هم الآباء الشرعيين للتقدم العلمي والفكري[٢]

- لقد كان التصوف الإسلامي كطريق أولى للفت النظر للإسلام، في البداية يكون التصوف حالة من الذوق الرفيع والصافي لفهم علاقة الارتباط بالخالق، والمثقف الغربي في معظم العصور سواء عصر النهضة أو العصر الحديث يبحث عن هذا الذوق لأنه يعتبر الذوق الصوفي حالة من

---

**(١) انظر ، أبو العلا عفيفي ، مقال " التصوف الفلسفي في الإسلام " مجلة الرسالة العدد 196 ، 1937م .**

**(٢) انظر ، لطف الله خوجة ، مقال " منهج في دراسة التصوف " مجلة البيان ، العدد 199 ، 1425هـ .2004م**

.

الحب وحالما يدرك أن هذا الذوق يأخذه من ظاهرية الحب إلى باطنيته يصبح حالة من الولع والشوق لتذوق هذه الثمرة الرائعة من الوصل الدائم ، هكذا يري المثقف الغربي التصوف[٣].
وعلى ذلك كان "رينيهجينو" مثل الكثير من المثقفين الغربيين الذين اجتذبهم التصوف الإسلامي كفلسفة حب وعقيدة في البداية ثم أخذه التصوف إلى منطقة الذوق عرف فيها الإسلام وصفاءه وكان سعيه الدائم الحقيقة هوالذى هداه إلى الدين الحنيف.

(٣) **انظر ، باسم توفيق ، مقال " التصوف الإسلامي هو واجهة جذب الغرب نحو الإسلام " ، مجلة الراية ، 1432هـ –2011م.**

**ـ أولا حياته :**

في عتمة القرن العشرين المظلم بماديته التي تسير بالإنسانية نحو الهاوية ، في هذا القرن الضائع في وجودية سارتر العدمية ومادية ماركس وغيرها من الصيحات الحديثة في عالم الفكر تبدو ظاهرة "جينون" وكأنها حقا أعجوبة لا تصدق ، ففي قلب الحضارة الحديثة التي أخرجت الروح نهائيا من عالم الإنسان جاء هذا الفرنسي ليشعل شمعة للروح في قلب أوروبا المثقلة بأوزار المادة وليعيد الاعتبار الى الحضارة التقليدية ، حضارة الروح في زمن الابتذال والكذب والتضليل.

ولد " رينيه جان ماري جوزيف جينو " في 15-11-1886م في مدينة بلوا[٤]الفرنسية وكان أبوه مهندسا معماريا ، وقد تميز جينون منذ طفولته بذكائه الحاد وصحته الرديئة ، وقد أكمل دراسته في مدينته التي ولد فيها حيث حصل على درجة البكالوريوس في عام 1904م ، إلا أن دراسته في ذلك الوقت قد عرفت الخط الذى سيصبح طريقه الى البحث المتواصل ، فلم يكتفي بالدراسة الجامعية ، وراح ينهل من العلم في باريس الزاخرة بالمعلمين والمرشدين من الشرق والغرب " فقد فتحت له باريس أبوابا أخرى " وما إن وصل الى العشرين من عمره حتى كان قد تشرب أساسيات تكوينه الروحي ، وبدأ رحلته في البحث والتنقيب بين المنظمات المختلفة لمعرفة ما إذا كانت ذات طابع أصيل أم لا ؛ وراح يدرس أهم المذاهب الدينية والفلسفات الروحية قبل أن يستقر به المطاف في رحاب الإسلام ليصبح واحداً من أهم متصوفي العصر الحديث.

**ـ ثانيا مؤلفاته :**

ألّف رينيه جينو العديد من المؤلفات التي ضمّت بين صفحاتها دفاعاً عن الإسلام وصورته لدى الغرب ، في مواجهة الصورة التى كان يروجها المستشرقون حول كون الإسلام انتشر بحد السيف وانه لا يُثمر الروحانية العميقة ، وقد جاءت إسهاماته في الرّد على هذه الاتهامات من خلال كتبه التى من أهمها :

ـ مدخل عام الى فهم النظريات التراثية 1921م .

ـ الثيوصوفية قصة دين زائف 1921م .

ـ خطأ الاتجاه الروحاني (تحضير الأرواح) 1923م .

ـ الشرق والغرب 1924م .

ـ روحانيات دانتي 1925م .

---

**(٤) بلوا : هي بلدة فرنسية تقع على ضفاف نهر اللوار على بعد 172كم من باريس يبلغ عدد سكانها 868000 تقريبا ، وهي شهيرة بصناعة البسكويت والشكولاطة .ينظر عبد الحليم محمود،الفيلسوف المسلم عبد الواحد يحيى(رينيه جينو) ص14**

ـ الإنسان ومصيره وفقا للفيدانتا1925م .

ـ أزمة العالم الحديث 1972م.

ـ ملك العالم 1927م .

ـ القديس برنارد 1929م .

ـ السلطة الروحية والسلطة الزمنية 1929م .

ـ رمزية الصليب 1931م .

ـ أحوال الوجود المتعددة 1932م .

ـ عروض نقدية 1937م .

ـ سيادة الكم وعلامات الزمن 1945م .

ـ لمحات عن التسليك الروحي 1946م .

ـ الثالوث الأعظم 1946م .

ـ مبادئ حساب اللامتناهي 1946م .

ـ لمحات عن الباطنية المسيحية 1952م .

ـ البدايات والنهايات الروحية 1952م .

ـ الرموز الأساسية للعلم المقدس 1962م .

ـ دراسات في الماسونية الحرة (جزأين) 1964م .

ـ دراسة عن الهندوسية 1966م .

ـ الميتافيزيقا الشرقية 1966م .

ـ الصور التراثية والدورات الكونية 1970م .

ـ لمحات عن الصوفية الإسلامية والطاوية 1973م(٥)

---

**(٥) انظر، رينيه جينو ، التصوف الإسلامي المقارن ، ترجمة عبد الباقي مفتاح ، دار الكتب الحديثة ، الأردن ، 2004م ، ص 7وما بعدها. انظر أيضا ،خالد محمد عبده ، من رموز العلم المقدس " رينيهجينو" الشيخ عبد الواحد يحيى في المصادر العربية الحديثة ، مؤسسة دراسات وأبحاث ، د،ت ، ص 7،8**

**ـ ثالثا تجاربه الروحية قبل الإسلام :**

مع بدايات القرن العشرين كانت مرحلة الفلسفات الكبرى في الغرب والتي بدأت مع ديكارت قد انتهت ؛ وبدأت مرحلة جديدة افتتحها الإنجليزي "جورج مور" بفلسفته التحليلية نحو تفكيك ما قد تراكم من إرث فكري دون أن تقدم هذه التجربة أي شيء من يقين أو طمأنينة فكرية ، وقد أدّى هذا الحال بالكثيرين للبحث عن اليقين في مصادر أخرى ، وكانت مجموعة من "الجمعيات السرية"[٦] التي تدّعي امتلاكها لحقائق ميتافيزيقية ولطرائق المعرفة الكشفية وفي هذه الأجواء التي خيَّمت على مدينة باريس في بداية القرن العشرين هذه المدينة التي كانت مركزاً للعديد من الجمعيات التيوصوفية وغيرها ، وجد رينيه جينو نفسه ، فراح يتعرف على هذه الجمعيات الواحدة تلو الأخرى ولكنه سرعان ما أدرك زيفها وادعاءاتها فصار يهاجمها ويُفّند كل الادعاءات السخيفة والخيالية التي تطلقها تلك الجمعيات دون أي أساس من الصحة .

هذه الانتقادات التي ضمَّنها جينو بعد ذلك في كتابه " القيم التيوصوفية " تاريخ إحدى الديانات المزيفة وكتاب "أوهام الروحانيين " ، لقد فنّد جينو في هذين الكتابين إدعاءات ما يسمى " بتيار الروحانية الجديدة " بدآ من "بلافيتساكيا الروسية " وصولا إلى "بابيوس" رئيس جماعة المارتينيين في باريس والذي كان جينو على معرفة شخصية به ، لقد كانت انتقادات جينو لهذه التيارات الزائفة مفيدة لكل الباحثين عن الحقيقة ذلك لأنها أغنت أصدقائه وأتباعه عن الخوض في مثل هذه التجربة المحبطة إلا أن الأهم من ذلك هو اطلاع جينو المباشر على الدور السلبي والخطير الذي تقوم به هذه الجمعيات السرية في الحياة الروحية ، والفكرية والاجتماعية الحديثة[٧].

كذلك تعاون جينو أثناء إقامته في باريس مع صاحب مجلة فرنسا المعادية للماسونية[٨](كلارن دي لاريفا) وقد انتقد جينو الماسونية وكل الآراء الساذجة والسطحية التي تسود في الأوساط المعادية للماسونية التي تجهل حقيقة هذه الجمعيات والتحولات العميقة التي طرأت عليها عبر التاريخ وجعلت منها إحدى أخطر الجماعات السرية في العصر الحديث

إن رينيهجينو مرَّ بتجارب روحية كثيرة حتى استقر على الإسلام نذكر منها :

---

**(٦) هذه الجمعيات كانت منتشرة في باريس في تلك الفترة نذكر منها مثلا : الماسونية ، والمارتينية ، وأخرى تنتسب إلى الهند والصين.**

**(٧) إيريك جوفرا ، التصوف طريق الإسلام الجوانية ، ترجمة عبد الحق الزموري ، دار الكلمة الإمارات ، ط 1 ، 2010م ، ص17.**

**(٨) الماسونية : هي مجموعة من التعاليم والممارسات الخاصة بالطريقة الأخوية السرية للبنائيين الأحرار والمقبولين من غير الماسون ،وهي أكبر جمعية في العالم ولها علاقات مع الصهيونية العالمية ،وتنقسم الى محافل وقد تأسس أول محفل كبير لها عام 1717م وقد انظم لها عدد كبير من مشاهير وزعماء العالم ،ويتعارفون فيما بينهم بإشارات وشعارات رمزية .انظر ، المعجم الوجيز مجمع اللغة العربية ، ج1 ، 1989م ، ص571.**

ـ دراسته لفلسفات الشرق القديم ، حيث تعايش رينيه جينو مع المدارس والمذاهب المتنوعة التى كانت تعج بها باريس في ذلك الوقت ، مدارس الهند والصين وكان فيها الروحانيون بمختلف ألوانهم ومشاربهم ونزعاتهم الروحية ، بل كان فيها هؤلاء الذين يعالجون بالسحر والتنجيم وتحضير الأرواح ، وقد ترك رينيه جينو التعليم الجامعي كما سبق القول ، واخذ ينهل من هذه المنابع المختلفة ، فانتسب إليها وعرف ما تهدف إليه ، بل ساهم في نشاطها ومنحته هذه المدارس أعلى درجاتها الكهنوتية السامية وكانت صلته الوثيقة بهذه المدارس قد مكّنته من ان يدرك الخبيث منها والطيب ، وهدته بصيرته النفّاذة ورأيه القويم الى إن الكثرة الكثيرة من هذه المدارس هي عبارة عن مدارس شكلية سطحية .

ـ التحق عام 1906م بالمدرسة الحرة للدراسات الغيبية " ليابوس " وانتقل الى منظمات أخرى " كالمارتينية[٩]ـ والماسونية "[١٠] التابعة للطقس المعروف باسم الطقس الاسباني .

ـ انظم في عام 1908م الي المحفل الماسوني الكبير في فرنسا كما انظم الى الكنيسة " الغنوصية "[١١] القائمة على عكس الكنيسة السائدة التى تؤمن بتجسيد الله عز وجل في صورة بشر، وفي هذه الفترة تعرف على شخصيات أسهمت في تعميق معرفته بمذهب " الطاوية "[١٢]

---

**(٩) المارتينية : هي تيار مسيحي باطني تم تأسيسه على يد الماسوني " مارتينز دي باسكوالي" وهو يهودي برتغالي الأصل في الأربعينيات من القرن الثامن عشر ، واستمر التيار مرتبطا بالماسونية الى الآن ، وقام بنشر الفكر المارتيني تلميذا مارتينز وهما " لويس كلود دوسان مارتن " الملقب بالفيلسوف المجهول و " جون باتيست فيلرموز " الماسوني الذي أسس طقسا جديدا في الماسونية سماه " التنظيم المارتيني القديم " انظر موسوعة الملل والأديان ، علوي عبد القادر ، الفصل الرابع ، المذاهب الفكرية المعاصرة " المارتينية " 1435هـ ،ص 507**

**(١٠) الماسونية : لغة لفظ مشتق من كلمة "mason"ومعناها البناء ويضاف إليها "free"ومعناها حر "freemason"اى "البنائيون الأحرار " وهم يرمزون بها الى البناء الذي سيبني هيكل سليمان والذي يمثل بزعمهم رمز السيطرة ، اى سيطرة اليهود على العالم . أما الماسونية في الاصطلاح : هي منظمة سرية يهودية إرهابية غامضة محكمة التنظيم ، ترتدي قناعا إنسانيا إصلاحيا تهدف من وراء ذلك لضمان سيطرة اليهود على العالم ، وتدعو الى الإلحاد والفساد وجل أعضائها من الشخصيات المرموقة في العالم يوثقهم عهد بحفظ الأسرار ، ويقومون بما يسمى بالمحافل للتجمع والتخطيط والتكليف بالمهام ، انظر المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ج1 ، ١٩٨٩م ، ص 571.**

**(١١) الغنوصية : Gnosticism . gnosticisme"f مذهب تلفيقي يجمع بين الفلسفة والدين ويقوم على أساس الصدور ومزج المعارف الإنسانية بعضها ببعض ، ويشمل على طائفة من الآراء المضنون بها على غير أهلها ، وفيه تلتقي الآراء القبالية بالأفلاطونية المحدثة وبعض التعاليم الشرقية كالمزدكية والمانوية، وكان له اثر في التفكير الفلسفي في المسيحية والإسلام . انظر المعجم الفلسفي الصادر عن مجمع اللغة العربية ، القاهرة ،1403هـ / 1983م ، ص133.**

**(١٢) الطاوية : Taoism " ديانة صينية شعبية تجمع ما بين السلف والطبيعة والأرواح ، فيها قدر من تعاليم " لاوتسي " ومن معتقدات أخرى ظهرت في القرن السادس قبل الميلاد ، وعارضت السيطرة والاضطهاد**

كان على رينيه جينو طوال الحقبة الممتدة بين العامين 1906م و1908م أن يتحمّل الأفكار الغامضة وأحيانا المشوشة التي كانت تصدر عن هؤلاء الناس ، لكنه آثر الانسحاب .

ـ في عام 1909م عين رينيه جينو كأسقفا " غنوصيا "[١٣]بالكنيسة الغنوصية ، غير انه انتقد هذه الكنيسة بشدة حيث قال : "إن االغنوصيين الجدد لم يتلقوا أي معرفة تُذكر؛ لافتقارهم الى سلسلة الإسناد التى لا سلوك ولا تربية من دونها ، ويمكن اعتبار تجربتهم محاولة لإعادة إنشاء هذه السلسلة من خلال جمعهم لبعض الوثائق المتفرقة والتى يمكن لكل واحد الحصول عليها ... وانتهى رينيهجينو من دراسته لهذه المذاهب الروحية الى أنها جميعا مذاهب مادية جديدة ، وان هدفها الوحيد هو أن تخضع الروحانيات لمناهج العلم الطبيعي وقال في ذلك :" ان مجموع هذه المذاهب الروحانية الحديثة ليست إلا مادية جديدة في مستوى آخر وهمها الوحيد ان تطبق على الروح مناهج العلم الوضعي التي يتوسل بها من دراسته العلم الطبيعي الفيزيائي "[١٤]

وينتهي رينيهجينو الى أن هذه المناهج لا يمكن أن ترقى الى تأسيس نظرية متكاملة في الإلهيات وبعد أن انتهى من دراسة كل هذه الديانات والمذاهب قرر الابتعاد عنها جميعا ، وحاول البحث بنفسه عن الحقيقة ثم استقر به المطاف الى اعتناق الإسلام .

**ـ رابعا إسلامه :**

قيّض الله تعالى للإسلام من بين فلاسفة ، ومفكري ، وسياسي العالم من هدتهم فطرتهم السليمة الى العدالة ، والنزاهة ، والموضوعية في النظر الى الإسلام ونبي الإسلام ، بل إن من بين الكارهين من لم يجدوا مناصاً أمام سطوع حقائق الإسلام من أن يغيروا مواقفهم ، ويبدلوا أفكارهم ، ويخففوا من غلو آرائهم ، ودخل بعضهم الإسلام ، ومن بين هؤلاء المنصفين المفكر الفرنسي رينيه حينو .

كانت المحطة الأخيرة في رحلة جينو في بحثه عن الحقيقة عنوانها التوجّه نحو الشرق هذه المحطة التى حددت المعتقدات والآراء النهائية لجينو وقد لعبت شخصيات ثلاث أدوارا أساسية ومهمة في هذا التوجه ، هذه الشخصيات هي :

ـ "ليون شمبرينو" وهو مثقف فرنسي اعتنق الإسلام وأصبح يسمى "عبد الحق".

---

**وحبذت العودة الى حياة الفطرة ، وكلمة "الطاو" تعني الطريق وتعاليم الحكيم ، انظر المعجم الفلسفي الصادر عن مجمع اللغة العربية ، القاهرة ،1403هـ / 1983م، ص111.**

**(١٣) الغنوص : gnosis" هو في أساسه معرفة أشياء دينية تسمو على مستوى عامة المؤمنين ، أو على مستوى العقيدة الرسمية وكان للمسيحية غنوصها في القرنين الثاني والثالث الميلادي ، ثم تحولت الغنوصية الى المعتقدات السرية والخفية بل الملحدة أحيانا انظر، المعجم الفلسفي الصادر عن مجمع اللغة العربية ، القاهرة ،1403هـ/1983 م، ص133.**

**(١٤) انظر عبد الإله بن عرفة، مقال (الشيخ عبد الواحد يحيى والنهضة الروحية في الغرب) مجلة التواصل ، العدد الثاني ليبيا ، ص 74 .**

ـ"الغراف ألبير بيويو" وهو فرنسي كان قد اعتنق العقيدة الطاوية "وهي عقيدة صينية قديمة جمعها لاوتسي في كتاب الطاو" وله علاقات وطيدة مع ممثلي هذه العقيدة في الصين وقد صار يعرف هناك باسم "ميتغى بيوي" أي "عين النهار"[١٥].

ـ الفنان السويدي "إيفان جوستاف آجلي "المسلم المتصوف الذي أخذ التصوف على يد شيخ الشاذلية "عبد الرحمن عليش"[١٦] وصار يعرف باسم "عبد الهادي " ، ولم يعرف حتى الآن الطريق الذي حصل به جينوعلى معارفه العميقة والشاملة للميتافيزيقا الهندوسية هذه المعرفة التي عكستها كتاباته التالية "مقدمات عامة في فهم العقائد الهندوسية"، "الإنسان وتكوينه تبعا للفيدا"،"وأوجه الوجود المتعددة".

لقد كان لتعرّف جينو على الشرق وعقائده من خلال الشخصيات التي تم ذكرها دوراً هاماً في القرار الأكثر حسماً في حياة رينيهجينو ففي عام 1912م اعتنق الإسلام وسلك طريق التصوف على يد عبد الهادي وأصبح معروفا بعد ذلك في عالم التصوف الإسلامي الشاذلي باسم "الشيخ عبد الواحد يحيى".

إن اعتناقه للإسلام لم يمنعه من المشاركة في الحياة الفكرية والروحية لوطنه الأصلي بل إنه وبعد اعتناقه للإسلام قام بنشر مجموعة من الأبحاث في الدفاع عن الكاثوليكية فقد كان يرى في الكاثوليكية الخيار الوحيد أمام الغرب لإنقاذ نفسه من ظلمة العالم الحديث المادية ، وكان يحث أتباعه المسيحيين الكاثوليك لبذل كل الجهود من أجل إحياء أسرار العرفان المسيحي كخطوة ضرورية لإحياء المسيحية في أوروبا[١٧].

في العام 1927م سافر الشيخ عبد الواحد يحيى الى الجزائر لتدريس مادة الفلسفة ولترسيخ معارفه في اللغة العربية من ثم ليعود الى مدينته الأصلية "بلوا" ويقوم بتدريس الفلسفة هناك وفي هذه الفترة قام بنشر أعماله التالية :

"الشرق والغرب ـ أزمة العالم الحديث ـ ملك العالم ـ السلطة الزمنية والسلطة الروحية ".

وفي عام 1930م يغادر الشيخ عبد الواحد يحيى فرنسا الى مصر حيث يبقى هناك وخلال هذه الفترة يعيش حياة الصوفي المسلم التقليدية حيث يقضي معظم أوقاته في المسجد مشغولاً بالذّكر والعبادة إلا أنه مع ذلك يحرص حرصاً شديداً على عدم قطع صلته مع أوروبا ، ففي هذه الفترة بالذات يكتب بالفرنسية أعماله الأساسية التالية :

---

**(١٥) انظر ، محمد عادل شريح ، مقال " رينيه جينو والتقليدية التكاملية " ، المصدر : الملتقى الفكري للإبداع ، 2005م .**

**(١٦) عبد الرحمن عليش : أسرة الشيخ عليش مغربية الأصل أشهر رجالها هو الشيخ محمد عليش الكبير (1218- 1299) وقد درس في الأزهر وتقلد مشيخة السادة المالكية والإفتاء بالديار المصرية سنة 1270هـ والشيخ عليش من تلاميذ الأمير عبد القادر الجزائري الدرقاوي في السلوك والتربية الروحية**

**(١٧) انظر ، عبد الإله بن عرفة ، " مقالة الشيخ عبد الواحد يحيى والنهضة الروحية في الغرب " مرجع سابق ، ص 48.**

"أوجه الوجود المتعددة ـ مملكة الكم وعلامات الزمن ـ رمزية الصليب ـ الثلاثية العظمى ".

وعلى الرغم من بعد الشيخ عبد الواحد يحيى عن أوروبا إلا أن الاتجاه الفكري الذي شقّه كان يجد له أتباعاً متحمسين في إطار النخبة الثقافية الأوروبية وخاصة في فرنسا وقد صار من أتباعه "ميشيل فالسان"[١٨] و"فريثجوف شوان"[١٩] وغيرهم.

وبشكل مستمر كان تأثير الشيخ عبد الواحد يحيى يزداد في الأوساط الأكاديمية وكذلك في أوساط الفن والأدب من أمثال أندريه جيد الذي قال بعد قراءته لأعمال الشيخ عبد الواحد يحيى : "إذا كانجينو على حق فإن أعمالي وكل حياتي هي شيء بلا معنى ، وأضاف قائلا : لو إني قرأت جينو في فترة الشباب لكنت عشت حياتي بطريقة أخرى ".

ويقول "هنري فوهر" أحد المتخصصين في فكر الشيخ عبد الواحد : " إن جينو في هذه الفترة كان يصارع ذاته وفكره باحثاً عن حقيقة وحيدة تجعله يشعر بالهداية كان ينظر الى رمزية الديانات الأسيوية وتسامحها وكان يدرس كل الرموز الروحانية فيها حتى تعمق في التصوف الإسلامي ووجد أن كل هذه الرموز تتضاءل أمام رموز الصوفي المسلم والذي قد يتخذ الحب والتسامح منهجا ".[٢٠]

ويقول عنه الفيلسوف هكتورماريرو[٢١]:"إنه إنسان إلهي به مسحة الأنبياء".

وقال عنه الفيلسوف الفرنسي الوجودي جان بول سارتر: " لم أكن أدرك معنى أن يتوه الإنسان ويتذوق لذة الفكر ونشوة الحب الخالص حتى عرفت عزيزي رينيه جينو هذا الفيلسوف الصوفي الذي ذاق حلاوة كل التجارب بعقليته العظيمة وروحه الواسعة فتمرغ في سرية الديانات الأسيوية

---

**(١٨) ميشيل فالسان : (1911- 1974م) كان في الأصل دبلوماسيا من رومانيا مقيم بباريس وكان أول الدارسين لكتابات الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي في الغرب، اعتنق الإسلام وأصبح اسمه (مصطفى عبد العزيز)، ينظر مقال الإشعاع الروحي للشيخ أحمد العلوي على الغرب ، انظر ، محمد صلاح الدين المستاوي ،مقال " مصطفى عبد العزيز فالسان " احد ربانيين العصر الحديث المصدر: مكتبة الإسلام حقائق وأعلام ومعالم ،2011م .**

**(١٩) فريثجوف شوان: (1907- 1998م) هو سويسري الأصل أخذ التصوف على القطب العلاوي ،بعد أتباعه التصوف أصبح يدعى (عيسى نور الدين أحمد) وهو فيلسوف ومتصوف وكاتب ألف كتبا حول الفلسفة والدين ويعتبر الشيخ عيسى نور الدين من رواد المدرسة الفلسفية التقليدية التي أسسها الشيخ عبد الواحد يحيى ، انظر ، حسين يلماز ،الحكمة الأبدية والأديان ، اسطنبول ،2003م ص 121.**

**(٢٠) انظر، محمد عادل شريح ،مقال " رينيه جينو التقليدية التكاملية " ، المصدر : الملتقى الفكري للإبداع ، 2005م .**

**(٢١) هكتورماريرو: هو فيلسوف ومفكر أرجنتيني كان يعمل وزير الأرجنتين المفوض في القاهرة ، وقد كان من محبي الشيخ عبد الواحد يحيى.**

وكهنوت المسيحية ثم أخيراً وصل الى بئر الصوفية الإسلامية فنهل منها حتى ارتوت روحه "[٢٢].

ولا نجد كلاماً أجمل مما وصفه به الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله : "لقد أراد أن يعتصم بنص مقدس لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فلم يجد بعد دراسة عميقة سوى القرآن فهو الكتاب الوحيد الذي لم ينله التحريف ولا التبديل لأن الله تكفل بحفظه قال تعالى:(إِنَّانَحْنُنَزَّلْنَاالذِّكْرَوَإِنَّالَهُلَحَافِظُونَ)[٢٣]لم يجد سوى القرآن نصا مقدسا صحيحا فاعتصم به وسار تحت لوائه فغمره الأمن النفساني في رحاب الإسلام "[٢٤].

ومن هنا فقد أصبح الشيخ عبد الواحد يحيى من كبار علماء الأزهر وهو الذي فتح أبواب أوروبا للتصوف بكتاباته القيمة وهو مدرس بحق ويعتبر في فرنسا من المفكرين الذين أحدثوا ثورة فكرية في القرن العشرين في ميدان الفلسفة ، وعلم الاجتماع ، وكتاباته المهمة في نقد الحداثة والحضارة الغربية غيرت مجرى الأفكار في أوروبا ، فلو لم يكن مسلما لاعتبره الفرنسيون مفكر القرن .

---

**([٢٢]) هذه الشهادة حاول الكثيرون طمسها لكن إحدى المجلات الإيطالية المعنية بالفلسفة نشرتها كمقدمة لترجمة الجزء الرابع من رائعة جان بول سارتر ( الوجود والعدم ) .**

**([٢٣]) سورة الحجر، الآية (9) .**

**([٢٤]) انظر، عبد الحليم محمود ، قضية التصوف ،المدرسة الشاذلية ، نشر دار المعارف ،ط 4 ،ص301**

**ـخامسا تجربته الشيخ عبد الواحد يحيى الصوفية :**

**ـ تعريف التصوف :**

في البداية وقبل الحديث عن مفهوم التصوف يجب التنبيه الى نقطة مهمة لعلها من النقاط التى يجب مراعاتها في فهم وتعريف أي مصطلح بالطريقة اللائقة والصحيحة وهى :

انه إذا أردنا التعرف على دين أو ملة أو فكرة ما فعلينا ان نعتمد على مصادرها التى منها نبعت وظهرت واستقرت ، وبذلك نفهم حقيقة الفكرة كما هى ، ولا يصح أن نلجأ الى المنتسبين ونعتمدهم مصدرا اذ أنهم يتفاوتون في الالتزام والتحقق .

فالإسلام مثلا لا تُعرف حقيقته كما هى إلا من خلال القران والسنة ، أما محاولة معرفة ذلك من خلال ما يصدر من المسلمين فهو محض الخطأ ، فليسوا كلهم يطبقون الإسلام كما هو ، وليس كل ما يصدر منهم يكون بالضرورة تطبيق لتعاليم الإسلام ، إذ أن الإنسان في طبعه اقتراف الحسنة والسيئة.

كذلك الأمر بالنسبة للتصوف لا يمكن معرفة حقيقته كما هى إلا بالوقوف على مصادره الأصلية وهو الذى نشأ واستقر في الثقافات القديمة ، أما الاعتماد على المنتسبين المقلدين من المسلمين فهو خطأ منهجي ، فليسوا كلهم يطبقون التعاليم كما هي وليس كل ما يصدر منهم يكون بالضرورة عن التزام بالتصوف .

وهذا ما سنراه في مفهوم التصوف الذي قال به رجال التصوف بناءاً على مصادره الأصلية ومن بينهم الشيخ عبد الواحد يحيى .

إن مصطلح "تصوف" بحسب اغلب الكتَّاب الروحانيين هو في جوهره شديد الغموض ، وبالتالي يصعب أن يكون له اشتقاق جاهز[٢٥]

فالوصول الى الحد الحقيقي بصفة عامة أمر عسير فكيف إذا تعلق الأمر بتجربة روحية ، لذلك كان من الطبيعي ألا ننتظر من الصوفية أن يأتونا بتعريف واحد محدد للتصوف لأنه من الطبيعي أن يكون هناك تنوعاً في التعاريف ولهذا نجد أن حصر التصوف في تعريف معين هو ما لا يتفق عليه الصوفية .

وقد كثرت الأقوال في اشتقاق كلمة "التصوف" عند المسلمين على عدة أقوال منها :

ـ قول الشيخ أبو الحسن الشاذلي "إن التصوف هو تدريب النفس على العبودية وردها لأحكام الربوبية"[٢٦]

---

**(٢٥) انظر ، عبد الرحمن الوكيل ، مقال " نظرات في التصوف " مجلة الهدي النبوي ، العدد10 ، 1379هـ .**

**(٢٦) انظر ، عبد الحليم محمود ، أبو الحسن الشاذلي ، منشورات المكتبة العصرية بيروت ،1387هـ-1967م ، ص 75 .**

والشيخ حسن الشاذلي يعنى بهذا الكلام إن التصوف في جوهره هو الفهم الواعي للدين على شكل عبادات وسلوك يمارسها المسلم مع نفسه ومع غيره ، ومن ثم تتجلى الحياة الروحية المتزنة التى قوامها الإيمان والعمل .

ويقول ابن عربي "فاعلم أن التصوف تشبيه بخالقنا ، لأنه خلق فانظر ترى عجباً"[٢٧]

ويذهب رأى آخر الى أن "التصوف" نسبة الى الصوف لفرط بعد أهله عن متع الحياة الدنيا فلبسوا الصوف ، وكثر ذلك منهم فعُرفوا به ونُسبوا اليه .

والواقع إن هذه الكلمة من حيث الاشتقاق صحيحة ، وقد ظهر هذا اللباس فيهم ، ولكن هذه الكلمة "صوف" لم ترد في كتاب الله الكريم إلا مرة واحدة في قوله تعالى :(وَمِنْأَصْوَافِهَاوَأَوْبَارِهَاوَأَشْعَارِهَاأَثَاثاًوَمَتَاعاًإِلَىحِينٍ)[٢٨] ولم تكن معروفة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا المعنى .

يقول ابن الجوزي: "كانت النسبة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم الى الإيمان والإسلام فيُقال مسلم ومؤمن ، ثم حدث اسم زاهد وعابد فنشأ أقوام تعلّقوا بالزهد والتعبّد فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا الى العبادة واتخذوا من ذلك طريقة تفرّدوا بها وأخلاقاً تخلّقوا بها ، ورأوا أن أول من انفرد بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرام رجل كان يقال له "صوفة" واسمه "الغوث بن مر"[٢٩] فانتسبوا اليه لمشابهتهم إياه في الانقطاع الى الله سبحانه وتعالى فسمُّوا "بالصوفية"[٣٠]

وهناك من قال أن كلمة "تصوف" مشتقة من كلمة "سوف" اليونانية ومعناها "الحكمة" ورَّد الشيخ عبد الحليم محمود على هذا القول: "بأنه لا يستقيم لسبب بسيط وهو إن التسمية بالصوفي كانت موجودة قبل ترجمة "الحكمة اليونانية" الى اللغة العربية ، هذا اللفظ نشأ في الإسلام بعد أن عُرفت الحكمة اليونانية وعُرف معناها وتداولتها الألسنة ولاكتها الأفواه والفت معناها العقول ـ أي حوالي منتصف القرن الثالث الهجري ـ على اقل تقدير مع ان الكلمة عُرفت قبل ذلك بكثير"[٣١]

---

**(٢٧) انظر ، محي الدين بن عربي ، الفتوحات المكية ، دار صادر بيروت ، ج 1 ، ص152 .**

**(٢٨) سورة النحل ، الآية (80) .**

**(٢٩) الغوث بن مر: هو رجل ينتمي الى قبيلة من العرب كانت في الجاهلية ، وكانت أمه لا يعيش لها ولد فنذرت إن ولدت ابناً أن تهبه للبيت وتربط على رأسه قطعة صوف ليُعرف ، فولدت ابناً وفعلت به ذلك فصار الناس يقولون له صوفة .**

**(٣٠) انظر ، ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ، دار العلم ، بيروت ، لبنان ،1403هـ ، ص161.**

**(٣١) انظر ، عبد الحليم محمود ، قضية التصوف ، المنقذ من الضلال ، ص30 .**

ويستطرد الشيخ عبد الحليم محمود قائلاً: " إنني أرى أن هذه الكلمة "تصوف" لم توضع للتصوف الذى نفهمه الآن "[٣٢]

ويُفهم من كلامه أن كلمة "تصوف" أُطلقت في بادئ الأمر إطلاقاً عفوياً على ظاهر لبس القوم .

وبعد أن عرضنا لبعض ما جاء في تعريف التصوف من تباين واختلاف ، وتعدد في الآراء ، سنتناول تعريف التصوف في رأى الشيخ عبد الواحد يحيى .

**ـ تعريف التصوف عند الشيخ عبد الواحد يحيى :**

لا يختلف تعريف التصوف عند الشيخ عبد الواحد يحيى عن غيره من الصوفية ولكّنه يُعرِّف المصطلح بشيء من التفصيل ويُرجعه الى أصوله الحقيقية من غير اعتماد على المنتسبين كما سبق القول .

كتب الشيخ عبد الواحد يحيى عن التصوف والطرق الصوفية فقال : "ربما كانت العقيدة الإسلامية من بين العقائد الموروثة ، هي العقيدة التي يظهر فيها بوضوح الفرق بين جزأين متكاملين هما " الظاهر والباطن " وهو يعني هنا بالظاهر " الشريعة " التى تمثل الباب الذي يدخل فيه الجميع ، ويعني بالباطن " الحقيقة " التى لا يصل إليها إلا المصطفون الأخيار.

هذه التفرقة ليست تحكمية ، وإنما تفرضها طبيعة الأشياء ، مع إن الباطن لا يعني فقط الحقيقة ، وإنما يعني كذلك السبل الموصلة إليها ، والشيخ عبد الواحد يحيى يقصد هنا الطرق التي تعود بالإنسان من الشريعة الى الحقيقة ، والطريقة والحقيقة مجتمعتان يطلق عليهما " التصوف "[٣٣].

والتصوف ليس مذهبا لأنه الحقيقة المطلقة ، والطرق ليست مدارس مختلفة لأنها طرق ، أي سبل موصلة الى الحقيقة .

يذهب الشيخ عبد الواحد يحيى الى أن أصل هذه الكلمة " صوفي " فقد اختلف فيه اختلافا كبيرا ، إنها في الحقيقة تسمية "رمزية "[٣٤] وإذا أردنا تفسيرها يجب علينا أن نرجع الى القيمة العددية لحروفها ، وانه لمن الرائع أن نلاحظ إن القيمة العددية لحروف صوفي " وهي أربعة حروف "تعادل القيمة العددية لحروف "حكمة " وهي أربعة حروف ، فيكون الصوفي الحقيقي

---

**(٣٢) المرجع السابق والصفحة ذاتها .**

**(٣٣) انظر ، مقال كتبه بالفرنسية العارف بالله الشيخ عبد الواحد يحيى رحمه الله ، وترجمه الى العربية فضيلة الإمام الأكبر عبد الحليم محمود، شيخ جامع الأزهر رحمه الله .**

**(٣٤) رمزية : إن الرمزية التى يقصدها الشيخ عبد الواحد يحيى في هذا النص هي أن التصوف عبارة عن تجربة روحية ، والتجربة الروحية من أهم خصائصها استعصاؤها على اللغة واعتماد أهلها على الإشارة في تبليغها لعدم قدرة العبارة على ذلك .**

إذاً هو الذي وصل الى الحكمة الإلهية ، انه العارف بالله ، وتلك هي الدرجة العظمى فيما يتعلق بمعرفة الحقيقة .

وفي سياق آخر يوضح الشيخ عبد الواحد يحيى انه لا يمكن لأحد أن يطلق على نفسه انـــه "صوفي"[٣٥] إلا إذا كان ذلك جهلاً محضاً منه لأنه بذلك يبرهن على انه حقيقة ليس بصوفي ، ويقصد شيخنا من هذا القول انه من تكلَّم في التصوف فهو ليس بصوفي ؛ ومن ادَّعى التصوف فهو ليس بصوفي .

ذلك لان هذه "الصفة" سر بين الصوفي وبين ربه سبحانه وتعالى ، يمكن أن يقول الإنسان عن نفسه انه متصوف وهو عنوان يطلق على السالك في أي مرحلة كان ، والصوفي لا يطلق إلا على من بلغ الدرجـــات العلى .

نلاحظ من خلال هذا النّص أن الشيخ عبد الواحد يحيى يُعرِّف التصوف نسبة الى الصفة تأييداً للمفهوم الذي جاء به بعض الصوفية على أن التصوف مأخوذ من "الصفة" لان صاحبها تابع لأهلها فيما اثبت الله لهم من الوصف ويستدل على ذلك بقوله تعالى (واصْبِرْنَفْسَكَمَعَالَّذِينَيَدْعُونَرَبَّهُمبِالْغَدَاةِوَالْعَشِيِّيُرِيدُونَوَجْهَهُ)[٣٦]

ويفرِّق الشيخ عبد الواحد يحيى تفرقة دقيقة بين ما تعنيه كلمة "متصوف" و "صوفي" فيرى إن عبارة "متصوف" تعنى الشخص الذي اتّخذ هذا الطريق للبحث عن الحقيقة "أي السالك طريق الصوفية" أمـا "الصوفي" فهو الشخص الذى وصل الى العليا "أى الصوفي المتحقق الذى وصل الى أعلى الدرجات .

ويذهب الشيخ عبد الواحد يحيى الى أن الصوفية ليست شيئا أضيف الى الدين الإسلامي وإنما هي الجزء الجوهري من الدين ، لذلك كانت فرضيات رخيصة تلك التى تذهب بالصوفية الى أصل أجنبي يوناني أو هندي أو فارسي ، وهي معارضة بالمصطلحات الصوفية نفسها ، تلك المصطلحات التى ترتبط باللغة العربية ارتباطا وثيقا ويجب إلا نعطي عناية كبيرة لتلك المناقشات التى لا تنتهي بين مؤرخي التصوف خاصة بتحديد الفترة الزمنية التى وجدت فيها لفظة " صوفي " فإن الشيء قد يوجد قبل اسمه الخاص سواء وجد تحت اسم آخر أو وجد ولم تكن هناك حاجة لتسميته[٣٧].

ومن خلال هذا الراى نستطيع القول أن الشيخ عبد الواحد يحيى لا يهتم اهتماماً كبيراً بالفترة التى ظهرت فيها كلمة "تصوف" لان هذا بحسب قوله ليس مهما بقدر ما للكلمة من أهمية بحد

---

**(٣٥) الصوفي : إن عبارة الصوفي "هنا يجب الانتباه إن المقصود هنا ليس مجرد متصوف " فالصوفي يعد منزها عن الخلق " أي أن الصوفي لم يخلق " ومعنى هذا القول : هو أن حاله يتعدى شرط المخلوق ، فالصوفي بالفعل بوصفه قد تحقق بـ" الهوية المطلقة " وبالتالي اتحد فعلا بالمبدأ غير المخلوق ، انظر مقال " الخلق والتجلي " رينيه جينو ، ترجمة ، ديمتري افييونيوس ،2010/1/17م**

**(٣٦) سورة الكهف ، الآية (28) .**

**(٣٧) انظر ، أبو عبد الرحمن السلمي ، طبقات الصوفية ، دار الكتب العلمية، 2003م ، ص 135 .**

ذاتها ، وعلى حد قوله فان الاختلاف على تعريف كلمة "تصوف" لا ينقص من معناها شيئاً وهذا إن دلّ فانه يدل على مدى أهميتها بالنسبة لجمهور الصوفية وغيرهم من العلماء .

ويذهب شيخنا الى أن "التصوف" ليس عملاً علمياً ولا بحثاً نظرياً ، ولا يُتعلّم بواسطة الكتب على الطريقة المدرسية ، بل إن ما كتبه مشايخ الصوفية أنفسهم لا يستخدم إلا كحافز مقوى للتأمل ، والإنسان لا يصير بمجرد قراءته متصوفاً ، وهذا إن دلَّ فإنه يدل على أن ما كتبه كبار الصوفية لا يفهمه إلا من كان أهلاً لفهمه .

والشيخ عبد الواحد يحيى بهذا الكلام ينفي أن يكون "التصوف" رسماً منهجياً أو علماً مكتسباً وهو يؤكد على ما جاء في قول أبو الحسن النوري : "إن التصوف ليس رسماً أو علماً ولكنه خُلق"[٣٨]

وعلى هذا فإن "التصوف" بهذا المعنى يعني "الخُلق" أي أن الصوفي إذا قابله حالان أو خُلقان كلاهما حسن كان الأحسن بحسب قول أبو بكر الكتاني المتوفي "٣٢٢ه"

ومعنى هذا التعريف أن "الخُلق" يُعد ميزة للتنافس في مجال التصوف فالتمّكُن في الأخلاق الفاضلة يعلو بمرتبة صاحبه الى المراتب والمقامات الصوفية .

ونفهم من هذا القول أن الخُلق ميزة للتنافس فمن زاد عليك في الخُلق زاد عليك في التصوف

ويذهب الشيخ عبد الواحد يحيى انه لا بد في التصوف من شرط جوهري هو " التأثير الروحي " وهو لا يأتي إلا بواسطة شيخ ومن هنا كانت السلسلة .

ولأجل أن يسير الإنسان في طريق التصوف لابد له من :

ـ استعداد نظري خاص لا يغني عنه اجتهاد أو كسب .

ـ السلوك في سلسلة صحيحة .

ـ التأمل الروحي والذكر.[٣٩]

**ـ الظاهر والباطن عند الشيخ عبد الواحد يحيى :**

لقد أكد الشيخ عبد الواحد يحيى على انقسام التعاليم التقليدية الى تعاليم ظاهرة وأخرى باطنة حيث يأخذ هذا الانقسام أشكالا مختلفة في المنظومات التقليدية المختلفة ، وهو بهذا يؤكد حقيقــة

---

**(٣٨) انظر ، لطف الله خوجة ، موضوع التصوف ، مكة المكرمة ، 1432هـ ، ص 10 .**

**(٣٩) انظر ، عبد الحليم محمود ، مقال " التصوف حقيقة الدين السامية " ، مجلة العشيرة المحمدية ، العدد السادس من السنة الرابعة 1954م .**

معروفة في التراث الصوفي العالمي وبشكل عـام يمكن تلخيص موقف الشيخ عبد الواحد يحيى من هذه المسألة على الشكل التالي :

ـ إن الحقيقة الباطنة تشكل جزءا عضويا مكونا في أي منظومة تقليدية وهذه الحقيقة مرتبطة ارتباطا وثيقا " بالكشف الإلهي" الذي ينقل موضوعات الاعتقاد من مستوى الإيمان الى مستوى المعرفة المباشرة ، إنها صلة الوصل بين التعاليم الظاهرة ومبدأها الماورائي ، وإن انقطاع هذه الصلة يقود الى تشويه تعاليم الظاهر ذاتها وانحطاط المنظومة التقليدية بأكملها[٤٠].

ـ إن التعاليم الباطنية لمختلف الأديان قريبة من بعضها الى أبعد الحدود وهذه حقيقة لا يغيرها كل الجدل والنزاع التاريخي في ما بين ممثلي الوجه الظاهري للديانات المختلفة ، والشيخ عبد الواحد يحيى يدعو الباحثين عن الحقيقة لعدم الالتفات الى هذه الجدل العقيم وتركه لعلماء الظاهر .

ـ إن الإقرار بالحقيقة الباطنية لا يعني إهمال وتجاهل التعاليم الظاهرية لأي دين من الأديان لأن هناك ترابطا وتكاملا في ما بين الظاهر والباطن .

ـ يرى الشيخ عبد الواحد يحيى أن الحقيقة الباطنية في العصر الحديث تتعرض للهجوم من اتجاهين فهي من جهة أولى تتعرض للتشويه والتزوير من قبل تيارات وجماعات أجملها الشيخ عبد الواحد تحت اسم ( الروحانية الجديدة ) هذه الجماعات التي تستغل التسمية لنشر وتعميم تعاليم معادية أصلا للفكر التقليدي وقد توقف الشيخ عبد الواحد بإسهاب أمام الدور الخطير لهذه الجماعات لتلعبه في العصر الحديث[٤١].

ونستطيع أن نحدد من خلال كتابات الشيخ عبد الواحد الجهات التي تمتلك تعاليم باطنية أصلية وصحيحة على الشكل التالي :

ـ في الإسلام : التصوف .

ـ في اليهودية : القابالا .

ـ في الكاثوليكية : الهرمسية[٤٢]، المسيحية .

---

**(٤٠) انظر ، صلاح الدين المستاوي ، الحياة الروحية في الاسلام ، 1408هـ–1987م ، ط 1 ، ص 25 .**

**(٤١) انظر، زينب عبد العزيز ، أمانة الاختيار واختيار الأمانة "العلامة الفرنسي رينيه جينو" ، مجلة البحوث والدراسات الصوفية ، العدد الثاني، ص 19 .**

**(٤٢) الهرمسية : هي تقليد ديني مستقى من كلمة " هرمس " اليونانية التى ترمز الى إله الإغريق والتى أثرت على التعاليم الباطنية الغربية بشكل كبير والتى تعتبر من أهم العوامل خلال عصري " النهضة والإصلاح " يزعم هذا التقليد أنه مستقى من لاهوت قديم وهو المبدأ الذي يؤمن بوجود لاهوت واحد حقيقي أعطى للإنسان في الزمن الغابر ، ومنه تطورت بقية الأديان ، معظم أهمية الهرمسية هي في تأثيرها الكبير في ظهور ونمو الفكر العلمي بين سنة 1300و1600ب م ، فالأهمية التى أعطتها لفهم والتحكم بالطبيعة جعلت العلماء يهتمون بعالم السحر ومؤثراته مثل الخيمياء والتنجيم والتى اعتقد بالقدرة على امتحان**

ـ وبعض جمعيات الفرسان التي تأسست في القرون الوسطى .

وللشيخ عبد الواحد يحيى وجهة نظر خاصة بالمسيحية فهو يرى أن المسيحية أصلا هي تعاليم باطنية محضة ، كذلك قامت بتمثيل بعض الشرائع والطقوس الهيلينية عندما تحولت الى دين رسمي في أوروبا أما في الصين فإن التعاليم الباطنية مجموعة في عقيدة التاو ـ وفي الهندوسية البرهمانية واليوغا الروحية(٤٣).

أما الجهة الأخرى التي تتعرض الحقيقة الباطنية للهجوم من قبلها في العصر الحديث فهي ممثلي المؤسسات التقليدية الظاهرية وهذه ينطبق على كل مؤسسات الحقيقة الباطنية التي تم ذكرها .

ـ إن العلاقة الطبيعية التي يجب أن تقوم والتي كانت دائما قائمة بين ممثلي الظاهر والباطن هي الاعتراف المتبادل ، ولم يكن من المستهجن أن نرى ممثلي الحقيقة الباطنة يحوزون على القدير والتبجيل الأكبر لأن الشيخ عبد الواحد يرى في ظاهرة العداء هذه إحدى علامات هيمنة الروح المادية للتقليد في العصر الحديث .

ـ لقد كان الشيخ عبد الواحد يحيى يؤكد دائما على إن العودة الى الحقيقة التقليدية يتطلب قبل كل شيء بناء النخبة التي تحمل الوعي التقليدي الأصيل ، وإن هذا البناء يتحقق من خلال التجربة الباطنية الصوفية التي الإنسان من حال النقص الى حال الكمال ، ومن المعارف النسبية الى المعارف الكلية ، ومن مستوى الحقيقة الثانية الى مستوى الحقيقة الأولى، لقد رسم الشيخ عبد الواحد يحيى في مؤلفاته الطريق الذي يجب على الغرب أن يسلكه لتكوين النخبة التقليدية في عالم الزيف المعاصر ، إنه طريق الانتقال من الحداثة الى النماذج التقليدية للوصول الى الحقيقي والخالد ، وقد أكد الشيخ عبد الواحد يحيى أن ممثلي الشرق على استعداد دائم لمد يد العون لكل الغربيين الراغبين في الوصول الى الحقيقة(٤٤).

**ـ خامسا وفاته :**

في منتصف يناير عام 1950م لزم الشيخ عبد الواحد يحيى الفراش بسبب آلام الروماتيزم ، حتى تقرح فخذه الأيمن ، وفي 17 يناير من العام نفسه بعد أن تحسنت صحته ، يعاوده الألم ، ويحتضر سريعا فتدخل عليه زوجته فيقول لها بالعامية المصرية "النفس خلص!" وينتقل الى بارئه(٤٥).

وفي منتصف الليل يوم الاثنين الموافق 7 يناير عام 1951م في الساعة الحادية عشرة مساءا توفي الشيخ عبد الواحد يحيى عن عمر يناهز الرابعة والستين ، في مسكنه بالدقي محاطا بزوجته

---

**االطبيعة عن طريق التجارب ، وبالتالي فإن الكتابات حول هرمس جذبت اهتمام العلماء . انظر ، المعجم الفلسفي الصادر عن مجمع اللغة العربية القاهرة 1403هـ/ 1983م ، ص 207**

**(٤٣) انظر، رينيه جينو: الصوفية وكتابات أخرى ، مترجم في القشتالية ، ص298.**

**(٤٤) انظر ، مقال بقلم الاب "Curzio -Nitoglia " بداية عظيمة "رينيه جينو" فصل رحلة الى القاهرة ، ترجمة : روبيه روميرو .**

**(٤٥) د/ عبد الحليم محمود ، قضية التصوف ، المرجع السابق ،ص 299**

وأولاده الثلاثة وجنين لا يزال في طور التكوين ، لم يرى النور إلا بعد وفاة والده بأربعة أشهر، لقد وصفالكاتب المشهور أندريه روسو حيث كان في القاهرة إذ ذاك جنازة الشيخ عبد الواحد يحيى فكتب في جريدة الفيجارو الفرنسية يقول : "شيعت جنازته في اليوم التالي لوفاته ؛ فذبح تحت نعشه كما هي العادة ، كبش وأسيل دمه على عتبة المنزل ، وسار في جنازته زوجته وأبنائه الثلاث ، واخترقت الجنازة البلدة الى أن وصلت الى مسجد سيدنا الحسينحيث صلى عليه ثم سارت الجنازة الى مقبرة الدراسة، لقد كانت جنازة متواضعة ولم يكن فيها أي شيخ من مشايخ الأزهر ودفن الشيخ عبد الواحد يحيى في مقبرة أسرة الشيخ محمد إبراهيم ، وكان آخر ما قاله لزوجته : كوني مطمئنة ، لن أتركك أبدآ ، حقيقة أنك لاترينني ولكنني سأكون هنا وسأراك ".[٤٦]

وفي 9 يناير عام 1951م وصلت الى باريس برقية تعلن : " وفاة رينيه جينو المستشرق الفرنسي" وما إن وصلت هذه البرقية حتى أخذت الصحف والمجلات تنشر مختلف المقالات عن الشيخ تحت عناوين مختلفة منها : "حكيم كان يعيش في ظل الأهرامات " و "فيلسوف القاهرة " و "أكبر الروحانيين في العصر الحديث " ووصفوه " بالبوصلة المعصومة " و "بالدرع الحصين " وخصصت له مجلة "إيتد تراديسيونيل " عددا ضخما كتب فيه الكثيرون وهي المجلة التي تعتبر في الغرب "لسان التصوف الصحيح "[٤٧].

**ـ سادسا مكانته عند العرب :**

ليس هناك من شك في أهمية الشيخ عبد الواحد يحيى بالنسبة الى الغرب ، ولكن ذلك لا يلغي أهميته بالنسبة الى الشرق بشكل عام وبالنسبة الى الشرق الإسلامي بشكل خاص وذلك للأسباب التالية :

ـ إن الشيخ عبد الواحد يحيى هو ممثل الشرق أي ممثل الإسلام والتصوف الإسلامي الكثير شهرة وتأثيرا في الغرب ، وقد كان له دور كبير في إعطاء صورة جديدة وواقعية للتصوف الإسلامي مغايرة تماما لتلك التي رسمها المستشرقون ، فقد لفت أنظار المثقفين والباحثين عن الحقيقة في الغرب الى أن الإسلام هو الحقيقة التقليدية في آخر تجلياتها ، وإنه التقليد الذي حافظ على وحدة الحقيقة في الظاهر والباطن ، وإن خاتمية هذا الدين تعني شموليته واتساعه للحقيقة التقليدية الممتدة في الدورة الوجودية بأكملها .

وعلى الرغم من أن الشيخ عبد الواحد يحيى لم يكن داعية بالمعنى المعتاد ، إلا أن اعتناقه للإسلام هو والعديد من تلامذته ، نذكر منهم : ميشيل فالسان ، وفريثجوف شوان ، وتيتوس بوركهارت[٤٨] وغيرهم كان له أثره الكبير في فتح ثغرة كبيرة في جدار الأكاذيب الإعلامية

---

**(٤٦) مرجع نفسه ، ص 300**

**(٤٧) انظر، عبد الحليم محمود، الشيخ عبد الواحد يحيى خمسون عاما على وفاته، تقديم حسين نصر، دار إدريس، ط 1، 2003م، ص 28.**

**(٤٨) تيوتس بوركهارت : "1784-1817" سويسري الأصل ولد في لوزان زار انجلترا وتعلم في كمبردج الطب وعلم الفلك وأتقن اللغة العربية ، وتجنس بالجنسية البريطانية ، وقصد حلب حيث قرأ القرآن وتفقه بالدين**

التى نسجها الغرب عن الإسلام ثغرة نفذ منها ولا يزال ينفذ منها الكثيرون في الغرب من حضارة الوهم الى عالم الحقيقة التقليدية الخالدة .

ـ إن معرفة الشيخ عبد الواحد الحقيقية لا تقتصر على قراءة مؤلفاته وترديد أقواله بل القدرة على الاستفادة من مبادئ الوعي التقليدي التي استطاع أن يعيد صياغتها بشكل شمولي وإبرازها بوضوح في ظل تعقيدات وملابسات العصر الحديث ، فقد قام بنقل الفكر الديني بشكل عام من الماضي الى الحاضر، وحوله من تراث لا تأثير له إلا في إطاره الخاص الى منظومة فكرية قادرة على أن تلعب دورا أساسيآ في المعالجة الفكرية لكـل أسئلة الواقع الحديث ، إلا أن هذه النقلة على مستوى الوعي الفردي لا يمكن أن تتم إلا من خلال الانتماء الى منظومة تقليدية بعينها ، وهذا يعني بالنسبة لنل كمسلمين إن تفهُّمنا للمبادئ الأساسية للفكر التقليدي بشكل عام هو مقدمة مفيدة لتحقيق انتقال الفكر الإسلامي من مستوى المنظومة الفكرية العقدية المغلقة الى مستوى الانفتاح على العالم ومخاطبته في القضايا الإنسانية بشكل عام .

ـ إن الحضارة الغربية الحديثة والموقف منها قد شغل الفكر العربي على مدار القرنين الأخيرين ، ولا يزال لهذا الموضوع أصداءه وامتداداته في الحياة الفكرية العربية دون أن يكون هناك منهجية واضحة وفي 9 يناير عام 1951م وصلت الى باريس برقية تعلن : " وفاة رينيه جينو المستشرق الفرنسي" وما إن وصلت هذه البرقية حتى أخذت الصحف والمجلات تنشر مختلف المقالات عن الشيخ تحت عناوين مختلفة منها : "حكيم كان يعيش في ظل الأهرامات " و "فيلسوف القاهرة " و "أكبر الروحانيين فيالعصر الحديث " ووصفوه " بالبوصلة المعصومة " و "بالدرع الحصين " وخصصت له مجلة "إيتد تراديسيونيل " عددا ضخما كتب فيه الكثيرون وهي المجلة التي تعتبر في الغرب "لسان التصوف الصحيح " .

لمعالجة هذا الموضوع ، إن الشيخ عبد الواحد يحيى يقدم لنا هذه المنهجية التى تستطيع أن تخرج البحث التاريخي الحضاري الإسلامي من مأزقه الذي وقع فيه نتيجة لتبنيه وجهة النظر الغربية في التاريخ إنه يعيدنا الى أهم سمات النظرة التاريخية الإسلامية المتمثلة بالصيرورة القيامية للرؤية التاريخية والحضارية[٤٩]

فالإسلام هو الدين الخاتم والأمة الإسلامية هي التي شاءت الإرادة الإلهية لها أن تلعب دورا أساسيا في الأحداث التى ستقع في نهاية الزمان .

ـ لقد وضع الشيخ عبد الواحد يحيى نصب عينيه مهمة تعريف الغرب بالحقيقة التقليدية الخالدة في أعقد الظروف وأصعبها ، ولذلك فقد سعى جاهدا لأن يقدم هذه الحقيقة في صورة مبسطة بعيدة عن التعقيد حتى ولو كان ذلك على حساب الأسلوب في كثير من الأحيان ، ومع ذلك فإن أعماله تبقى جزءا جديدا يضاف الى التراث الفكري الصوفي الإسلامي الخالد ، هذا التراث الذي لم يمنع منه أحد إلا إن كل يأخذ منه على قدره واستطاعته.

---

**الإسلامي واعتنقه عام 1809م وأصبح اسمه " إبراهيم بن عبد الله " أدى مناسك الحج وقضى في مكة ثلاثة شهور عاد بعدها االى القاهرة وتوفي فيها ، انظر ، نجيب العقيقي ، المستشرقون ، ج2، ص475**

**(٤٩) انظر، محمد عادل شريح ، مقال " رينيه جينو والتقليدية التكاملية "، المصدر : الملتقى الفكري للإبداع ، 2005م .**

**قائمة المراجع :**


1 ـ ابن الجوزي ، تلبيس ابليس ، دارالعلم ، بيروت لبنان ،1403ه .
2- ابو العلا عفيفي ، مقال " التصوف الفلسفي في الإسلام " مجلة الرسالة ، العدد 196 ، 1937م .
3- ابو عبد الرحمن السلمي ، طبقات الصوفية ، دار الكتب العلمية ،2003م .
4- المعجم الفلسفي الصادر عن مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، 1403ه/1983م .
5 ـ المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ج 1 ، 1989م .
6- إيريك جوفرا ،التصوف طريق الإسلام الجوانية ، ترجمة عبد الحق الزموري ، دار الكلمة الإمارات ، ط 1 ،2010م .
7- باسم توفيق ، مقال " التصوف الإسلامي هو واجهة جذب الغرب الى الإسلام " مجلة الراية 1423ه –2011م .
8- حسين يلماز ، الحكمة الأبدية والأديان ، اسطنبول ، 2003م .
9- خالد محمد عبده ، من رموز العلم المقدس " رينيه جينو " الشيخ عبد الواحد يحيى في المصادر العربية الحديثة ، مؤسسة دراسات وأبحاث ، قسم دراسات الموروث الديني ، الرباط ، المغرب ، د.ت
10- رينيه جينو ، مقال " الخلق والتجلي " ترجمة ديمتري أفيونيوس .
11- رينيه جينو ، التصوف الإسلامي المقارن ، ترجمة عبد الباقي مفتاح ، دار الكتب الحديثة الأردن ، 2004م .
12- رينيه جينو ، الصوفية وكتابات أخرى ، مترجم في القشتالية .
13- رينيه جينو ، مقال " الخلق والتجلي " ترجمة ديمتري افيونيوس ، 2010م .
14- زينب عبد العزيز ، أمانة الاختيار واختيار الأمانة " العلاّمة الفرنسي رينيه جينو" مجلة الأبحاث والدراسات الصوفية ، العدد الثاني .
15- صلاح الدين المستاوي ، الحياة الروحية في الإسلام ، ط 1 ، 1408ه -1987م .
16- صلاح الدين المستاوي ، مقال " مصطفى عبد العزيز فالسان " احد ربانيين العصر الحديث ، مكتبة الإسلام حقائق وأعلام ، 0211م .
17-عبد الحليم محمود ، الشيخ عبد الواحد يحيى خمسون عاما على وفاته ، تقديم حسين نصر ، دار إدريس ، ط 1 ، 2003م .
18- عبد الحليم محمود ، قضية التصوف ، المدرسة الشاذلية ، دار المعارف ، ط 4 .
19- عبد الحليم محمود ، أبو الحسن الشاذلي ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، 1387ه -1967م .
20- عبد الحليم محمود ، مقال " التصوف حقيقة الدين السامية " مجلة العشيرة المحمدية ، العدد السادس من السنة الرابعة ، 1954م .
21- عبد الرحمن الوكيل ، مقال " نظرات في التصوف " مجلة الهدي النبوي ، العدد 10 ، 1379ه

22- لطف الله خوجة ، مقال " منهج في دراسة التصوف " مجلة البيان ، العدد 199 ، 1425ه -2004م .

23- لطف الله خوجة ، موضوع التصوف ، مكة المكرّمة ، 1432ه .
24- محي الدين ابن عربي ، الفتوحات المكية ، دار صادر بيروت ، ج 1 .
25- مقال بقلم الأب "Curzio –Nitoglia" بداية عظيمة رينيه جينو ، فصل رحلة الى القاهرة ،
ترجمة روبيه روميرو .
26- محمد عادل شريح ، مقال " التقليدية التكاملية رينيه جينو" المصدر ملتقى الفكري للإبداع ، 2005م .
27- نجيب العقيقي المستشرقون ،ج 2 ، دار المعارف مصر، 1946م .